

ت. النشر: 30 - 06 - 2025	ت. القبول: 10 - 05 - 2025	ت. الارسال: 13 - 03 - 2025
--------------------------	---------------------------	----------------------------

الأوبئة والأمراض في عُمان بين التوثيق والاغفال (13 - 14هـ / 19 - 20م): دراسة تاريخية تحليلية.

Epidemics and diseases in Oman between documentation and neglect (13th-14th AH / 19th-20th CE): A Historical and analytical study

سليّم بن محمد الهنائي  جامعة نزوى، عُمان

sulayim.alhinai@unizwa.edu.om

خلود بنت حمدان الخاطرية  جامعة التقنية، مسندم، عُمان

khulood.h.alkhatari@utas.edu.om

ناصر بن علي الندابي  جامعة الشرقية، عُمان

Nasser.alnadabi@asu.edu.om

أحلام بن حمود الجهورية  هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، عُمان.

ahlam.wah2017@gmail.com

الملخص:

تسعى هذه الدراسة لتناول الأوبئة والأمراض التي شهدتها عُمان خلال الفترة بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/ التاسع عشر والعشرين الميلاديين، كما تهدف الدراسة للكشف عن الظروف الصحية والمعيشية ودورها في انتشار الأوبئة وكيف تعامل السكان مع الأمراض التي انتشرت في عُمان، كذلك تهدف الدراسة لتناول الوسائل والطرق التي استخدمها السكان للوقاية والعلاج من الأوبئة والأمراض، ويعالج البحث إشكالية قائمة تتمثل في عدم وجود دراسات تتناول هذه الفترة، مما يوجد فجوة في تاريخ عُمان تتعلق بالأمراض والأوبئة التي انتشرت، خاصة وأن المدونات المحلية لم تسجل تلك الإشارات، وبقي الاعتماد الأكبر على التقارير الأجنبية، وكتب الرحالة التي تزور المنطقة على الرغم مما بها من مأخذ، كما أن إهمال الكتابة عن الأمراض والأوبئة في عُمان هو جزء من إهمال الكتابة في باقي مناحي التاريخ السياسي والحضاري في عمان، فإن الباحث في هذه الجوانب يجد فجوة كبيرة، ويعود سبب ذلك أن العمانيين اعتنوا بشكل كبير في كتابتهم للحديث عن علوم القرآن والتفسير والفقه دون الالتفات إلى الجوانب الحضارية الأخرى. تقوم الدراسة على المنهج التاريخي القائم على رصد الأوبئة والأمراض التي انتشرت في عُمان خلال الفترة المشار لها، كما توظف الدراسة المنهج الاستقرائي في جمع المادة واستقراء دلالات ذلك من خلال التحليل والمقارنة، ويعود السبب في استخدام المنهج الاستقرائي إلى قلة المادة المكتوبة في هذا الجانب. وقد تضمن البحث الأوبئة والأمراض التي انتشرت في عُمان، وقد عالج البحث في هذا الجانب تلك الأمراض والأوبئة وسبب الانتشار في عمان مثل الموقع الجغرافي والقرب من مراكز التجمعات السكانية في آسيا وأفريقيا، وأن هذا القرب مع وجود تجارة مزدهرة وخبرة ملاحية ساهما في ذلك الانتشار، كما تضمن البحث الحديث عن مؤلفات علماء المسلمين في الأوبئة والأمراض وأوائل تلك المؤلفات، كما تناول البحث الحديث عن أشهر الأوبئة والأمراض التي انتشرت في عمان مثل الطاعون، والذي يعد من أكثر الأوبئة التي تفتك بالإنسان، وقد كانت الإشارة لانتشاره في عمان مقيدة ضمن بعض المخطوطات، حيث أشارت أنه موجات انتشاره تتزامن مع انتشاره في باقي أنحاء الجزيرة العربية وبلاد الشام، كما تناول البحث بالإشارة إلى مرض آخر وهو الجدري والذي حصد أرواحاً كثيرة في عمان، وقد قيدت كتب الفقه العديد من التقييدات عن المرض وانتشاره في عمان، كما انتشر مرض الكوليرا في عمان متزامناً مع أمراض أخرى مثل الملاريا، ويعود سبب قرب عمان من الموطن الأصلي للمرض في الهند سبباً في انتشاره في عمان، وقد انتشر المرض في عمان في فترات مختلفة خاصة في المناطق الساحلية الشمالية والجنوبية، كما انتشرت أمراض أخرى في عمان مثل أمراض العيون والجلد، وقد سعى الأطباء العمانيين وخاصة في القرن العاشر الهجري إلى

محاولات لعلاج بعض الأمراض عن طريق تحضير بعض العقاقير الطبية المستخرجة من الأعشاب، وقد تنوعت طرق العلاج بين عزل المريض، وإعطائه بعض الوصفات المجربة، وقد سجلت المصادر إصابة عدد من العمانيين من القضاة والولاة بهذه الأمراض، كما أن بعض الزائرين لعمان خلال أوائل القرن العشرين أصيب بالمرض، وأظهر البحث الكثير من الحقائق، المتعلقة بالأمراض وفترات انتشارها، والمناطق التي انتشرت بها، وما خلفته من آثار على السكان، ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة يتمثل في انتشار عدد من الأمراض والأوبئة مثل الطاعون والجذري والكوليرا وغيرها، و تعددت العوامل والأسباب التي أدت إلى انتشار هذه الأوبئة، مثل الموقع الجغرافي، وكونها مركز تجاري مهم، ومركز لتجارة الترانزيت، كما أن تلك الأوبئة والأمراض أودت بحياة عدد كبير من السكان، فكانت تلك الأمراض تحصد أرواح المئات من السكان، وهذه الأوبئة كانت في بعض الأحيان امتداد للأوبئة التي انتشرت في البلاد الإسلامية والمناطق الأخرى التي لها صلات بعمان، كما أظهر البحث إشارات المصادر المحلية وإن كانت قليلة إلى عدد ممن أصيب بتلك الأمراض، كما أظهر البحث أهمية الاعتماد على المصادر الأجنبية وكتب الرحالة على ما بها من مآخذ بعد إخضاعها للمنهج العلمي، حيث أنها سجلت جوانب مهمة تتعلق بتلك الأمراض وانتشارها.

الكلمات المفتاحية: أمراض، أوبئة، عُمان، علاج

Abstract

This study seeks to examine the epidemics and diseases that affected Oman during the thirteenth and fourteenth centuries AH (nineteenth and twentieth centuries CE). It aims to shed light on the health and living conditions of the population and their role in the spread of epidemics, as well as the ways in which the population responded to these diseases. The study further explores the methods and remedies employed by Omanis to prevent and treat such outbreaks. A central issue addressed by this research is the lack of studies covering this period, which has resulted in a significant gap in the historical record of Oman concerning epidemics and diseases. Local records often neglected these topics, and historical accounts have largely relied on foreign reports and the writings of travelers who visited the region—sources that, while valuable, have notable limitations. This neglect mirrors a broader pattern in Omani historiography, where attention has predominantly focused on Qur'anic sciences, interpretation, and jurisprudence, with less emphasis on political, cultural, and medical history. Consequently, researchers often encounter a substantial void in these areas.

The study adopts the historical method to trace the epidemics and diseases that spread in Oman during the specified period. It also employs an inductive approach for gathering data, analyzing its implications, and making comparisons—an approach necessitated by the scarcity of written sources on the topic. The research covers the major epidemics and diseases that spread in Oman and investigates the factors contributing to their proliferation, such as Oman's geographical location and its proximity to densely populated centers in Asia and Africa. Oman's role as a hub of maritime trade and navigation also facilitated the spread of diseases. The study examines the contributions of Muslim scholars to the understanding of epidemics and highlights the earliest writings in this field.

Among the most notable diseases discussed are the plague, one of the deadliest epidemics in human history. References to its spread in Oman are found in select manuscripts, which indicate that its waves coincided with outbreaks in the wider Arabian Peninsula and the Levant. The research also explores the impact of smallpox, which claimed many lives in Oman and is mentioned in several jurisprudential texts. Cholera, often associated with India, also reached Oman and spread in conjunction with other diseases such as malaria, particularly in the northern and southern coastal regions. Other widespread ailments included eye and skin diseases. Omani physicians, especially in the tenth century AH, made efforts to treat these illnesses using herbal remedies and traditional medicinal practices. Treatment methods included isolating the sick and administering empirically tested prescriptions. Historical records mention several Omani judges and governors who contracted these diseases, and accounts from foreign visitors to Oman in the early twentieth century also describe cases of infection.

The study uncovers significant findings related to the nature, spread, and social impact of these diseases. Chief among its conclusions is that Oman witnessed repeated outbreaks of major

epidemics—such as the plague, smallpox, and cholera—due to multiple factors, including its geographic location and status as a key commercial and transit center. These outbreaks claimed hundreds of lives and were often linked to epidemics occurring in other Islamic and connected regions. Although local documentation is limited, the study identifies important references to individuals affected by these illnesses. It also emphasizes the value of foreign accounts and travel literature—despite their limitations—when critically analyzed, as they offer key insights into the spread and effects of diseases in Oman during this understudied period.

Key words: Diseases, Epidemics, Oman, Treatment

المؤلف المرسل: سليم بن محمد الهنائي، الإيميل: sulayim.alhinai@unizwa.edu.om

مقدمة

تعتبر عُمان كغيرها من أقاليم الجزيرة العربية التي انتشرت بها الأمراض سواء كانت موسمية أم أمراض الوباء كالطاعون والجذري التي أصابت عدداً كبيراً من الناس وقضت عليهم، ولأن كتب التاريخ الإسلامي تناولت عدداً من الأمراض في مجموعة من أقاليم العالم الإسلامي، لكنها أغفلت الحديث عن عُمان كما هو عن باقي الأحداث السياسية في عُمان والتي لم تتطرق لها كتب التاريخ الإسلامي. وقبل الخوض في الأوبئة والأمراض فإن الممارسة الطبية عند العرب تنقسم إلى جزئين، الجانب النظري الذي يُعنى بالجانب التنظيري في حديثه عن الأمراض وعللها، وأعراضها، وطرق الاستشفاء منها، والآخر عملي يهتم بالممارسة العملية التي تتعلق بالتشخيص وتحدد المسببات وإيجاد العقاقير للعلاج وإجراءات تلافيتها كالحجر الصحي وعزل المريض وغيرها، أما الملاحظ عن عُمان فإن الباحث يجد أن العُمانيين قد اهتموا بالممارسة العملية أكثر من التنظيرية، أي أنهم اهتموا بمعرفة طبيعة المرض ليتسنى لهم ممارسة علاجه.

تميز سكان الجزيرة العربية منذ القدم بالتداخل البشري بين المجموعات السكانية نتيجة لعوامل مثل التجارة وانتشار الواحات، وكذلك لكون مكة مركز ديني يفد إليه الناس من كل أنحاء الجزيرة العربية، هذا التداخل أدى إلى نوع من التمازج والانصهار بين تلك المجموعات السكانية، هذا من جانب، ومن جانب آخر ساهم في تغلب العديد من الظروف وتأثيرها على حياة السكان، ومن ذلك انتشار الأمراض بين الحين والآخر، والتي من أهمها مرض الطاعون والذي يعود أقدم إشارة له في مؤلف عُمانى إلى القرن الخامس الهجري عند العوتبي¹ (العوتي، الأنساب، 2006: ج1، 80)

إن أهمية الحديث عن الأوبئة والأمراض يتمثل في محاولة سد فجوة في التاريخ الحضاري العماني والمتمثل في عدم الكتابة عن هذا الجانب، فقد سجلت كتب الفقه والتفسير تقييدات في هذا الجانب في معرض حديثها حول بعض الفتاوي، هذه التقييدات أشارت إلى عدد من الأمراض مثل الطاعون والجذري والحصبة وغيرها، مما جعلها موزعة في بطون أمهات الكتب، وعند المقارنة بين كتب مؤلفات علماء

1 - سلمة بن مسلم العوتبي (القرن: الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، من أشهر علماء عمان، وله كتاب الضياء - 14 جزء - والإبانة، والأنساب جزئين، البطاشي، حمود، اتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، ج1، ط4، مكتب المتسشار الخاص لجلالة السلطان، ص 350.

المسلمين في هذا الجانب والتي بدأت من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، فإن المؤلفات العمانية تأخرت حتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي مثل كتاب فاكهة ابن السبيل لابن عميرة، وهو في الأصل كتاب يتناول الأمراض وعملها وليس تناول الأمراض من جانب تاريخي.

إن المتتبع للدراسات المحلية يجد مجموعة قليلة منها عالجت مسألة تاريخ الأوبئة والأمراض، والتي اعتمدت في مادتها على تقارير البعثات الأجنبية التي زارت عُمان أو على مؤلفات الرحالة الأجانب الذين اهتموا بتسجيل تفاصيل كثيرة أثناء تجوالهم، وعلى الرغم من المآخذ على كتابات الرحالة والمستشرقين إلا أنها تبقى مادة مهمة للباحثين في تاريخ المنطقة الحضاري.

ومن تلك الدراسات، دراسة منال حمد القطيطي (2021) بعنوان: "انتقال الأوبئة والأمراض المعدية من ساحل مكران ونواحيها إلى مسقط 1898-1899"، والدراسة منشورة في مجلة جامعة تشرين، وهي دراسة حديثة اعتمدت على التقارير والمراسلات المتوفرة في تلك الفترة، وهي دراسة تعنى فقط بطرق انتقال الأمراض. أما الدراسة الثانية فهي للباحث سلطان الشيباني (2022) والتي كانت بعنوان: الطواعين في الذاكرة العمانية، حيث تحدث عن المرض وأسبابه وأعراضه، كما تناول آثار العمانيين المدونة عن مرض الطاعون، وموجات الوباء التي اجتاحت العالم، كما عرج بالحديث عن توثيق الطاعون من المؤرخين والفقهاء العمانيين، وكذلك الحديث عن المصابين بالمرض، والدراسة مركزة على مرض واحد فقط.

أما الدراسة الثالثة فهي دراسة فاطمة بلهاري (2022) بعنوان: "مراسلات دبلوماسية فرنسية عن الأوبئة بعمان ما بين 1899-1900"، وهي منشورة في مجلة دلمون الصادرة عن جمعية تاريخ وآثار البحرين؛ حيث اعتمدت فيها الباحثة على وثائق الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي كمصدر هام في تتبع تطورات انتشار بعض الأوبئة والأمراض الفتاكة التي اجتاحت عُمان في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين. وكشفت هذه الدراسة عن تفاصيل مراسلات القنصل "بول أوتاف" Ottavi Paul «»؛ والتي رفعها لوزير خارجيته بباريس عن أخبار الصحة العامة بعمان ما بين 1899-1900 م ، وما صاحبه من انتشار الأوبئة والأمراض في العديد من مدن وقرى عُمان وإحصاء أعداد الموتى والمعافين، كما تم توصيف الإجراءات الاحترازية التي اتخذها السلطان فيصل بن تركي لتجاوز الوضع الصحي المتأزم كالعزل وإقامة الحجر الصحي «الكارنتينة» في حق المصابين.

أما الدراسة الرابعة فهي دراسة الخنصوري، أمل بنت سيف (2023) وهي عبارة عن رسالة دكتوراة منشورة، وعنوانها الأوضاع الصحية في عُمان الساحل 1888 – 1976. وأما الدراسة الخامسة فهي للباحثة آمال الجامعية، (2024) بعنوان الحجر الصحي في عُمان 1888 – 1970، وهي رسالة ماجستير منشورة، تناول الكتاب الأوبئة والأمراض التي انتشرت في عُمان في العصر الحديث؛ إذ تناول الفصل الأول: الأوبئة وطرق تعامل المسلمين معها، وفي الفصل الثاني ناقشت الباحثة الحجر الصحي والإجراءات التي اتبعت عند المسلمين، وأيضا الإجراءات التي طبقت عند العُمانيين.

دراسة موضوع الأمراض والأوبئة في عمان خلال الفترة المذكورة يطرح إشكالية واقع التوثيق ودرجة الاهتمام به في الدراسات المختلفة. ومن أجل التمكن من معالجة هذه الإشكالية المحورية، استعنا بالأسئلة الفرعية الآتية: هل يوجد توثيق للأوبئة والأمراض في عمان بداية من القرون الهجرية الأولى؟ ما سبب إجماع العمانيين عن تناول الأمراض والأوبئة المنتشرة في عمان؟ ما الأمراض التي انتشرت في عمان خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/ التاسع عشر والعشرين الميلاديين؟ ما الطرق والوسائل المستخدمة لعلاج الأوبئة والأمراض في عمان؟

تقوم الدراسة على المنهج التاريخي القائم على رصد الأوبئة والأمراض التي انتشرت في عُمان في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/ التاسع عشر والعشرين الميلاديين، وذلك اعتماداً على المادة المتوفرة والتي وإن كانت قليلة إلا أن تتبع الإشارات التي وردت يقدم صورة عن وضع تلك الأوبئة، وتم الاستناد إلى: الوصفي: وصف الأمراض التي انتشرت في عُمان، الاستقراء: جمع المادة العلمية، ومن ثم استقراء دلالات تلك الإشارات، من خلال التحليل والاستنباط والمقارنة: تحليل المادة العلمية والمقارنة بينها من أجل الخروج باستنتاجات تظهر الأوبئة والأمراض التي انتشرت في عُمان.

وقد اعتمد البحث على عدد من المصادر والمراجع ومن تلك المصادر كتاب سلطان الشيباني، بعنوان "الطواعين في الذاكرة العمانية" وهو كتب مهم تتبع فيه الباحث تقييدات الطواعين في المخطوطات العمانية، كما اعتمد البحث على كتاب الجامعة بعنوان "الحجر الصحي في عُمان (1888 - 1970)" تناولت فيه الباحثة الأمراض وطرق الحجر المستخدمة سواء في المدن أو القرى، وعرضت نماذج لعدد من تلك المحاجر، معتمدة بشكل كبير على التقارير الأجنبية والمصادر المحلية، وقد استفاد الباحث من الكتاب في تناول جوانب التقارير الأجنبية التي تناولت المرض، كما استفاد الباحث من كتاب القطيطي والذي هو بعنوان "انتقال الأمراض المعدية من ساحل مكران إلى مسقط ونواحيها خلال عام 1898م" والذي هو دراسة تاريخية وثائقية، تناولت الدراسة طرق انتقال الأمراض، وأشارت فيه الباحثة إلى أن رواج التجارة وكثرة انتقال المسافرين سبباً في انتقال عدد من الأمراض، وقد استفاد الباحث من خلال تتبع انتقال الأمراض ومقارنتها مع المصادر المحلية الأخرى والتقارير الأجنبية.

1. الأوبئة والأمراض التي انتشرت في عُمان، وعوامل انتشارها

شهدت عُمان كغيرها من بلدان شبه الجزيرة العربية موجات من القحط والجذب صاحبها في أحيان كثيرة موجات من انتشار الأوبئة والأمراض. وقد كان لمجموعة كبيرة من العوامل الطبيعية والبشرية؛ ومنها الموقع الجغرافي، واطلالة عُمان على مسطحات مائية مفتوحة، والخبرة الملاحية وانشغال العمانيون بالبحر والتجارة دور في وجود اتصال مع الجماعات السكانية الأخرى في آسيا وأفريقيا منذ القدم، ومع التبادل التجاري بين موانئ عُمان والعالم انتقلت مجموعة من الأوبئة عبر مراكب التجار إلى عُمان، وقد حصدت تلك الأوبئة والأمراض أرواح الآلاف من البشر. (Burney, 2017 : 37)

ويُعرف البواء علمياً: جمع أوبئة وهو فساد لجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية، كالماء الآسن والجيف الكثيرة (ابن منظور ، 1994: ج1، 189) ، كما يعرف أنه شامل لجميع الأمراض الوافدة

(زكور، 2021: ج1، 282) ، فالوباء عبارة عن مرض سريع الانتشار بين الناس (طاحون، 1996: 192)، وتكون اصابته قوية تؤدي إلى هلاك البشر وارتفاع كبير وحاد في عدد الوفيات بشكل يومي يعجز فيه الإنسان عن المقاومة أو إيجاد العلاج (ابن الجوزي، 2006: 162).

وقد ألف علماء المسلمين الكتب في الأوبئة والأمراض منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، مثل: كتاب الطواعين لابن أبي الدنيا، وكتاب مقامة في الطاعون العام لابن الوردي (عطاء الله، 2020: 549-566) ، تلك المصنفات تناولت الأوبئة أسبابها وأعراضها وطرق انتشارها وطرق العلاج، كما لا يخفى أن علماء الطب المسلمين استفادوا من مؤلفات اليونانيين في هذا المجال على سبيل المثال جاء عند اليعقوبي «قال أبقراط: في الساعات على ما يكون من الأمراض في الصيف وأول القيظ: الغلمان والذين يتلونهم في السن أصحاء، وحسن حالهم أفضل من غيرهم» (اليعقوبي، 2010: ج1، 38).

وتشير الخنصورية والجامعية إلى جملة من العوامل والأسباب التي أدت إلى انتشار الأوبئة، ومنها الموقع الجغرافي بحكم الاتصال المباشر البري والبحري مع جماعات عديدة تفد إلى عُمان، كذلك التضاريس والتي بدورها تغير في حالة المناخ وبالتالي تؤثر على أجهزة جسم الإنسان، كما يساهم المناخ بشكل فعال في انتشار الأمراض، حيث أن هناك فصول من السنة يكون انتشار الأوبئة بها بشكل كبير وسريع لوجود البيئة التي تسمح للمرض بالانتشار ومن أهمها الرطوبة، إضافة إلى أن بعض الحرف التي يمتنها الإنسان التي كانت سبباً في ذلك مثل العمل في الزراعة أو السفن، كذلك سوء التغذية بسبب تدني المستوى المعيشي، وانتشار الحشرات والقوارض والتي تسهم في انتقال الأوبئة والأمراض (الخنصوري، 2023، 108؛ الجامعية، 2024: 31-42).

تعد عُمان من المناطق التي يمر عليها طريق الحرير البحري، وبالتالي فإن انتشار الأمراض والأوبئة في المناطق التي يمر بها الطريق سوف يؤدي بلا شك إلى انتقاله نحو عُمان، لذلك ليس من المستبعد أن حالات انتشار الأوبئة في أحيان كثيرة حدثت بسبب هذا الطريق، مما يعني أن المرض كان ينتشر في عُمان بين الحين والآخر على الرغم من شح المصادر المحلية في الحديث عن تلك الفترة، وهناك جملة من العوامل والأسباب خاصة وأن أهل عُمان يمتنون حرفة الزراعة ويحصلون على مياه الشرب والزراعة من الآبار والأفلاج المعرضة بشكل كبير لخطر التلوث بفعل الفيروسات والطفيليات، كما أن هناك من السكان من يعمل في السفن، سواء بالتجارة أو التحميل ونقل البضائع عند وصولها إلى عُمان، وهذا كله يؤدي إلى الاختلاط بسكان تلك المناطق التي ربما يكونون حاملين للمرض والذي سرعان ما ينتشر بين السكان في البلاد، ويعد ميناء مسقط من أكثر الموانئ التي يأتي منها خطر انتشار الأمراض، خاصة وأن به فرضة مسقط، وإليه تفد أغلب السفن القادمة من الشرق (الخنصوري، 2023: 38)، ومن خلال ما تقدم سوف نستعرض تلك الأوبئة والأمراض التي انتشرت في عُمان وأولها مرض الطاعون.

أ. الطاعون

يعد الطاعون أكثر الأوبئة التي تفتك بالإنسان منذ القدم ، وهو من الأوبئة القادمة من الهند وشرق آسيا وخاصة مع موسم الحج، وتعد الطبيعة الجغرافية لبعض المناطق من العوامل التي

تساهم في زيادة حدة انتشار المرض، مثل الظروف البيئية والمناخية، فمناطق الخليج العربي الحارة وما بها من كائنات حية متنوعة تسهم في انتشار هذا المرض (علي، 2022: 300)، وبالتالي يظهر المرض بين السكان الذي يعيشون في مناطق قدرة تنتشر فيها الفئران المسبب الرئيسي لهذا المرض الخطير (دعدع، 2021: 185)، ونبدأ الحديث عن هذا المرض من خلال ما وصفه به علماء الطب المسلمون مثل ابن سينا، والرازي، فقد وصف ابن سينا الطاعون بأنه « ورم قتال يعرض في أكثر الأمر في الأعضاء الضعيفة مثل: الأباط الأربية، وخلف الأذن، ويكون أردوها ما يعرض في الأباط وخلف الأذن لقربهما من الأعضاء التي هي أشد رئاسة، وأسلم الطواعين ما هو أحمر ثم الأصفر ثم الذي إلى السواد لا يفلت منه أحد » (الزيدي، 2021: ج 1، 208)، ومن خلال هذا الوصف الدقيق للمرض يتضح مدى المعرفة العميقة له من قبل ابن سينا الذي وصف لون المرض والمواضع المعرضة له. أما الرازي فوصفه بقوله « ورم حار يعرض في الأربيات والإبط، ويقتل في أربعة أيام أو في خمسة، والطاعون الرديئ أسود، والطاعون الأحمر أقل شراً على أنه ربما قتل، ولا يكاد ينجو من الأسود والأخضر أحد» (الزيدي، 2021: ج 1، 209)، ومن خلال ما وصفه به علماء الطب المسلمون يتضح مدى خطورة هذا المرض وسرعة انتشاره، وسرعة إيقاعه بالمريض في فترة قصيرة، وهذا ما أدى أن يحصد الآلاف من الضحايا في كل مرة ينتشر بها هذا المرض (علي، 2022)

وعبر التاريخ الإسلامي الكثير من حالات انتشار هذه الأمراض التي أدت إلى هلاك آلاف البشر، وأول تدوينه مباشرة لحالة انتشار هذه المرض في التاريخ الإسلامي كانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (13-23هـ) حيث أطلق عليه اسم طاعون عمواس والذي انتشر في بلاد الشام، ويعد أول طاعون أصاب المسلمين (الشيباني، 2022: 12). وقد حدث خلاف بين المسلمين حول إن كان يجوز للمسلم أن يهرب من المناطق التي انتشر بها المرض أم يبقى مكانه، وقد استمر هذه المرض يفتك بالمسلمين فترة من الزمن حتى أشار عليهم عمرو بن العاص بالتحصن في الجبال لأنها تكون أنقى هواء، وقد أشارت عدد من المصادر الإسلامية إلى هذا المرض وإلى درجة انتشاره (الطبري: ج 4، 62؛ ابن كثير، 2015: ج 6، 226؛ السديوكشي، 1994: ج 3، 341؛ الشيباني، 2022: 19؛ حناني، 2023: 49).

كما أن من الطواعين التي انتشرت طاعون الجارف (ابن سعد، 1997: ج 145، 7؛ حناني، 2023: 492)، والذي بلا شك حصد آلاف الأرواح من البشر، ووردت إشارة عند بولرواح (2006) بقوله «كان الناس في طاعون الجارف يصلون على جنائز الرجال والنساء متفرقين، فجاء جابر بن زيد، فجعل النساء أمام الرجال فصلى عليهم جميعاً» (جابر بن زيد، 2006: ج 1، 596)، كما توالى الطواعين على بلاد الإسلام في العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية، ومات فيهم عدد من العلماء، والقادة مثل: زياد بن أبيه، وأبو الأسود الدؤلي (الشيباني، 2022: 22).

أما في عُمان فإن الإشارات إلى وقوع الطاعون فيها خلال العصور الإسلامية نادرة؛ إذ لم يكن للعُمانيين تأليف مستقل في هذا الشأن، إنما بعض التقييدات النادرة في المخطوطات سواء عن

الأمراض أو العلاج مثل تقييدات الطبيب راشد بن عميرة² في كتاب فاكهة ابن السبيل³، ومن جانب آخر فإن مساهمة الأدباء في قصائد الرثاء سبباً في ذلك التقييد مثل المؤرخ ابن رزيق النخلي (ق13هـ/ 19م) في كتابه الفتح المبين، وأشار عن عدد من ضحايا مرض الطاعون "وفي نفس هذه السنة عم وباء الطاعون ليس عُمان فقط، بل فارس والكويت والبحرين والهند والسند.. وكان سبباً في موت خلق لا يحصهم إلا الله" (ابن رزيق، 1998: 70). وإضافةً إلى تقييدات المخطوطات العُمانية يجد الباحث بعض الفتاوي التي أشارت إلى انتشار الطاعون في عُمان، ومنها جوابات الإمام السالمي⁴ التي أشار إلى ذلك بقوله:

«أهل قرية اتفق رأيهم على أن يحرسوا بلدهم عن الداخلين من أجل هذا الطاعون وحدثوا بادة في فلجهم وقعدوها للحراس ما ترى فعلهم هذا جائز أم لا؟ وإن استقعد أحد من هذه البادة هل عليه ضمان أم لا؟ وإن كان عليه ضمان أين يضعه؟ عرفني عن ذلك، إن فعلهم هذا غير جائز، إذ لا يجوز قطع السبل للفرار من الطاعون فالأجرة على ذلك حرام وزيادة البادة ظلم وعلى من اقتعد منها الخلاص إلى أرباب الفلج يعطى كل واحد منهم كل حصته من الفلج والله أعلم» (السالمي، 2009: ج5، 374).

والملاحظ من رواية السالمي؛ أن المرض كان ينتشر في عُمان حاله حال باقي أنحاء الجزيرة العربية وبلاد الشام، فالفتاوي في الأصل تأتي تلبية لأحداث وقعت يحتاج فيها الناس إلى جواب، وبالتالي فإن وقوع المرض ربما قبل ذلك جعلت السائل يسأل بحثاً عن الفتوى التي تتعلق بحراسة البلاد في فترة الطاعون ونفقة الحراسة.

وقد تناول الأطباء العُمانيون مرض الطاعون في مصنفاتهم، مثل: ابن هاشم الرستاق في كتابه (زاد الفقير)، وراشد بن عميرة في كتابه (فاكهة ابن السبيل)، وكذلك العبري في (شفاء القلوب)، أما الرحالة الأجانب الذين زاروا عُمان أثناء انتشار مرض الطاعون فقد دون البعض مشاهداتهم مثل روبين بيدويل (الشيباري، 2022: 34).

كما وأن هذا المرض قد بلغ مبلغاً كبيراً، لشدة ما يلقيه الإنسان من أعراضه وآلام، فقد احتوت جوابات الإمام السالمي على إشارات للمرض «الفارّ من الطاعون تجوز منه البراءة إن لم يتب وإن تاب

² - راشد بن عميرة الرستاق (ق: 10هـ / 16 م) واحدٌ من الشخصيات العمانية البارزة في مجال الطب والصيدلة، له إسهامات حضارية كبيرة في عمان عبر تاريخها، ذاع صيته في زمانه وتميز بالنبوغ والعمل بهمة عالية فكان طبيباً ماهراً ومشهوراً استطاع أن يعالج الكثير من الأمراض المستعصية، وله العديد من المؤلفات المهمة في مجال الطب مثل فاكهة ابن السبيل، ومنهاج المتعلمين. الريامي، محمود (2015)، إشكالية المصطلح الطبي في كتاب (منهاج المتعلمين) للطبيب راشد بن عميرة، مركز ذاكرة عمان.

³ - توجد صورة من أحد صفحات المخطوط في ملحق البحث.

⁴ - عبدالله بن حميد السالمي (ت 1332هـ / 1913م)، علامة ومحقق وشاعر ومؤرخ عُماني، يعد من أبرز شيوخ عمان في القرن التاسع عشر الميلادي توفي الأربعين من عمره إلا أن له العديد من المؤلفات والتي تربو على الأربعين ومن أهمها: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، والحق الجلي في سيرة الشيخ صالح بن علي. محمد بن راشد الخصيبي، شقائق النعمان، ج1، ط3، وزارة التراث القومي والثقافة، ص252

ماذا عليه ؟ افتنا مأجوراً إن شاء الله .الجواب :لا تجوز منه البراءة وإن صرح القطب بأن ذلك كبيرة لكن يقال بأنه فعل محجوراً فإن تاب لم يكن عليه شيء . والله أعلم» (السالمي، 2009: ج 5، 374).

وقد تعرضت عُمان في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي للغزو من قبل البرتغاليين، واستمر وجودهم في سواحل عُمان حوال قرن ونصف حتى طردهم العمانيون بعد معارك طاحنة، وآخر معركة كما تشير إليها المصادر كانت معركة تحرير مسقط من قبضة البرتغاليين المتحصنين في قلعة الميراني، إذ أنه وبعد حصار استمر شهرين سقطت القلعة، وسبب إيراد هذه الحادثة التاريخية لتوضيح تفشي مرض الطاعون في تلك الفترة، حيث أصيب البرتغاليون بهلع شديد جراء تفشي الوباء في قلعتهم (مجموعة باحثين، 2013: 3399)، كذلك فإن مسقط المدينة أصيبت بالطاعون، وبلغت وفياتها خمسون شخصاً في اليوم، وهذه الموجة من المرض هي امتداد لموجات كانت تأتي إلى عُمان وتعصف بالسكان، وتؤدي إلى خلخلة في الديموغرافيا (فيلبس، 1983: 58). وقد خصص لوريمر ملحقاً تناول فيه "الأوبئة والمنظمات الصحية في منطقة الخليج" (النبهاني، 2014)

وبلا شك أن المرض كان له وجود في عُمان أقدم بكثير مما نذكر، لكن المصادر تكاد لا تشير له، فقد حدثت موجة للمرض في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، والقرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، لكن لم تشر له المصادر المحلية، وذلك قد يعود إلى عدم وصول المرض إلى عُمان، أو شح المصادر لعدم تناول المرض (الشيباني، 1996: 35). ويعد عام 1821م من أكثر السنوات وضوحاً في الإشارة لانتشار المرض، حيث ذكرت المصادر أن الوباء عم عدد من المدن العمانية مثل نزوى، وإزكي، ونخل، ووادي المعاول وغيرها من المدن العمانية، وبلغ عدد الوفيات في نزوى لوحدها أكثر من 2600 نفس (الجامعية، 2024: 29)، وقد أرخ لهذا المرض الشاعر العماني عامر بن علي العبادي (الشيباني، 2022: 66) بقصيدة قال فيها:

أزفت من الملك الكبير الألفة

ما إن لها عن أمره من كاشفة

تغشاهم أمواجه المترادفة

والناس في يم المهالك أغرقوا

وقد أدت هذه الموجة من المرض والتي انتشرت في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي وتحديداً في عام 1896م إلى إصابة أكثر من 900 شخص في نزوى لوحدها، ومئات الآخرين في باقي المدن العمانية التي ذكرناها سابقاً، فخلت الديار من السكان، وقد ورد عن الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي⁵ جوابات فقهية حول المسائل المتعلقة بحادثة المرض مع بعض الإشارات التاريخية (لوريمر، 2015: ج 1، 506؛ الشيباني، 2022: 36).

5- هو ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي عاش في الفترة بين 1192 - 1263هـ / 1778 - 1874م) والده جاعد بن خميس الخروصي عرف بسعة علمه، التي نهل منها الكثيرين، وخاصة ابنه ناصر الذي تتلمذ على يديه. البطاشي، حمود، اتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، ج 3، ط 4، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان، ص 244.

وفي الشذرات القليلة التي تظهر في المصادر المحلية عن هذه المرض مثل حديث السالمي (السالمي، 1997: ج2، 23) عن فترة إمامة عزان بن قيس⁶ والخلاف الذي وقع مع سالم بن ثويني، وتحزب القبائل بين من نصر الإمام عزان، وبين من يقف في صف سالم بن ثويني «ومنها ما قدمنا ذكره عند قيامه على سالم بن ثويني أن الطاعون نزل على أنصار عدوه وشغلهم عن نصرته، ولم يصب أحدا غيرهم أصلاً». وتظهر الرواية أن المرض كان ينتشر في البلاد بين الحين والآخر مع خوف الناس منهم ورهبتهم له.

وقد أشار ابن رزيق (1998: 70) إلى وقوع وباء الطاعون عام 1236هـ / 1821م، وقد انتشر في مناطق عديدة مثل فارس والكويت والبحرين والهند والسند ومكران، وكذلك وصل أوروبا، وقد كانت عُمان واحدة من المناطق التي انتشر بها المرض وحصد أرواحاً كثيرة من البشر، حيث أشار أن الكارثة عمت البلاد كلها. وممن توفي بهذا المرض الشيخ القاضي سليمان بن محمد بن أحمد الكندي، وهو عالم جليل ولد بمدينة مسقط عام 1298هـ / 1881م، ومن مؤلفاته كتاب "بداية الإمداد على غاية المراد" وكتاب التحفة السنية، ولم يمتد به العمر طويلاً حيث توفي وهو بنهاية الثلاثينات بسبب مرض الطاعون ودفن في نزوى (الحوسني، 2003: 119)

ب. الجدري

يعد مرض الجدري من الأمراض التي انتشرت منذ القدم، ويحصد أرواح كثيرة، فهو مرض معدي وخطير (الطاهر، 2023م ج35، ع3، 93)، وتكون أعراضه عبارة عن قروح على البدن، وهو مرض فيروسي حاد شديد العدوى، وينتقل عن طريق التنفس واللمس، لا يعرف على وجه الدقة المكان الذي ظهر فيه المرض أو تاريخ ظهوره، وتناوله الأطباء المسلمون في مؤلفاتهم مثل الرازي، الذي وصف أعراض الإصابة به، وتوصل إلى تركيبه دوائية للمرض (الرازي، 2002: 475).

وهذا المرض لم تنج منه عُمان خلال عصور كثيرة، ورغم أن هذا المرض لا يحصد أرواحاً كثيرة مثل مرض الطاعون، إلا أن هناك بعض الحالات منه تؤدي إلى الوفاة، وحال هذا المرض من حيث الإشارة إليه في المصادر المحلية في القرون الهجرية الأولى يشابه حال مرض الطاعون، إذ تندر الإشارة إلى انتشاره أو ممن أصيب به، ولكن الفتاوى الموجودة في كتب الفقه تقدم دليلاً على وجود المرض في عُمان دون ذكر تفاصيل المرض، فالفتوى تنطلق من أمر يتعلق بجانب تشريعي، مثل ما ورد عند السعدي في قاموس الشريعة، الذي تناول كتابه بعض المقتطفات، وتناول من الأمراض المنتشرة مرض الجدري، وأنه أكثر الأمراض انتشاراً في عُمان (الكندي، 1985: ج194، 9؛ ج14، 21).

6 - الإمام عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام أحمد بن سعيد (١٨٦٨-١٨٧١م) تم انتخاب الإمام عزان بن قيس من قبل أهل الحل والعقد في عصره، وعلى رأسهم سعيد بن خلفان الخليلي، وذلك من أجل إعادة حكم الشورى والبعد عن تدخل الإنجليز في الشؤون العمانية. السعدي، مريم (2022)، الإمام عزان بن قيس، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس.

وكذلك الفتوى التي وردت عند الشقصي⁷ (1984: ج3، 18) "وقيل في امرأة أصابها الجدري. فأراد أهلها أن يحولوها من موضع البيت إلى موضع آخر يرجون لها النفع، فقالت لا ترفعوني وحذرتهم" وهذه الفتوى تبين أن المرض موجود وأن الناس لا تخاف من العدوى منه، فعند رفعها لم يكن هناك أي تحرز أو خوف من المرض، كما أن المرأة تعي ما يدور حولها.

كما انتشر المرض في فترة الشيخ جاعد بن خميس الخروصي الذي عاش في الفترة بين عامي 1751 - 1822م حيث انتشر في فترة حياته، ويعتبر هو أحد المصابين به؛ إذ كان يخرج من بلدته العليا بوادي بني خروص أثناء إصابته، ولم ينهض عليه أهل بلده لعزله، بل كان يتولى عزل نفسه بنفسه (السعدي، 1984: ج2، 30).

وقد أشار هاريسون إلى مرض الجدري الذي يعتبره وباءً مدمراً يحصد الأرواح، وطريقة العلاج بأن يعزل المريض في كوخ خارج المدينة حتى يتنفس هواء نقي ومتجدد، كما أن عددا كبيرا من الأطفال غير المحصنين يموتون بسبب هذا المرض (هاريسون، 1989: 60).

ت. الكوليرا

يعد هذا المرض من أكثر الأمراض انتشاراً في الجزيرة العربية بشكل عام وعمان بشكل خاص مع أمراض أخرى مثل الملاريا، وأما انتشاره في الحجاز فيعود إلى موسم الحج الذي يجتمع فيه الناس من كل حذب، فيؤدي ذلك الاختلاط مع المصابين بالمرض إلى انتشاره بشكل سريع بينهم، وفي عودتهم يحملون المرض ويبدأ في الانتشار بين السكان، ومن ناحية أخرى فإن عدم توفر الخدمات العلاجية والصحية، وقلة المعرفة بطرق الوقاية من المرض ساهما بشكل حاد في زيادة انتشار المرض الذي يحصد الآلاف الأرواح، وكانت ضربات هذا الوباء تتراوح بين القوة والضعف، وهلك بسببه الآلاف من البشر (دعدي، 2021: 182).

وتعد الهند موطن هذا المرض، وكثيرا ما جاء المرض من تلك الناحية (الشدي، 2020)، ونتيجة للقرب الجغرافي بين عُمان والهند، حيث الرحلات التجارية المستمرة بين المنطقتين، فقد كان المرض ينفذ إلى عُمان عن طريق الهند، وقد انتشر المرض في عُمان في فترات مختلفة بداية من عام 1821م الذي قضى فيه على عدد كبير من العمانيين (فيلبس، 1983: 105). ويقال أن الرقم وصل حوالي عشرة آلاف نفس (البوسعيدي، 2017)، ويشير غباش أن وباء الكوليرا حصد من العمانيين أكثر من عشرين ألف نسمة في الفترة بين عام 1818 - 1819م وهي السنة التي انتشر فيها المرض بشدة في عُمان (غباش، 1997: 286).

⁷ - الشَّيْخ خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الشقصي (توفي بين: 1059 - 1090هـ) أحد أقطاب العلم والسياسة في النصف الثاني من القرن العاشر والنصف الأول من القرن الحادي عشر. البطاشي، حمود، اتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، ج3، ط4، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان، ص416.

وفي عام 1820م عاد المرض للانتشار مرة أخرى في عُمان، بدليل أن السيد سعيد بن سلطان عندما صعد على إحدى السفن البريطانية التي تزور مسقط وكان على متنها اللفتنان توماس، فعندما حضر السيد سعيد للسفينة كزيارة رسمية ذكر للضباط الإنجليز أن نحو عشرة آلاف مواطن ماتوا بسبب الكوليرا (بيدويل، 1985: 52).

كما انتشر المرض في عام 1821م على سواحل عُمان، وتشير الدراسات على أنه انتقل من كراتشي إلى جواد ثم إلى عُمان عبر مطرح (النهاني، 2014: 14)، كما ظهر مرة أخرى عام 1865م، ثم عاود مرة أخرى عام 1893م، كما ضرب مدينة مطرح عام 1899م، وانتشر في المناطق المحيطة والقريبة من المدينة، حتى وصل عدد الوفيات أكثر من 300 نفساً في اليوم (لوريمر، 2015: ج2، 48؛ الجامعية، 2024: 58). وفي إحدى مراسلات القنصل الفرنسي في مسقط بول أوتاف Ottavi Paul؛ لوزير خارجيته بباريس والمؤرخة بتاريخ 28 أكتوبر 1899م تضمن محتواها مسألة انتشار مرض الكوليرا بعُمان؛ حيث ذكر أن عدد المصابين بلغ 160 حالة بمسقط في خلال ثلاث إلى أربعة أيام، كما أشار إلى الحجر الصحي الذي فرضه السلطان فيصل بن تركي ابتداء من منتصف شهر أكتوبر بإجبار الحجر «Quarantaine» - بمنطقة الوطنية AL Watayyah، تفادياً لانتشار العدوى (بلهاري، 2022: 125).

وفي زيارة هاريسون إلى داخل عُمان أشار إلى مرض الكوليرا، حيث ذكر في زيارته إلى مدينة دون أن يسميها، وأن هذه المدينة تتصارع مع مرض الكوليرا، فكان هذا الوباء منتشر بين السكان وكان انتشاره مصدر خوف ورعب لهم (هاريسون، 1989: 24)، وحسب رواية لوريمر فإن تلاشي المرض من عُمان كان في مطلع عام 1900م (ج2، 48).

وقد أدى انتشار الأمراض وخاصة مرض الكوليرا إلى استقدام عدد من الأطباء وبناء بعض المستوصفات في مسقط، وكان هؤلاء الأطباء في الغالب من المبشرين الذين أوفدتهم حكوماتهم للقيام بدور تبشيري أو من أفراد يعملوا بصورة فردية في عملية التبشير جنباً إلى جنب مع عملية تقديم الخدمات العلاجية (الحجري، 2011: 351)، وبسبب الأعداد الكبيرة التي يحصدها المرض من العمانيين فإنها كانت تتوجه للعلاج في مستوصفات مسقط، مثل مستشفى طومس ومستوصف ولجات، حيث أنه تم معالجة حوالي تسعمائة مريض في أسبوع واحد (مجموعة باحثين، 2014: مج6، 2122)، وإن كان عدد كبير من الزائرين للمستوصف هم من الهنود رعايا بريطانيا، بسبب مشقة وصول العمانيين إليه (شرفي، 2011: 63).

ث. الملاريا

بالحديث عن مرض الملاريا التي كانت تنتشر في عُمان مثل حال باقي أنحاء الجزيرة العربية، فقد كان المرض ينتشر خاصة في فترات الأمطار وظهور البرك المائية، فالحرارة والرطوبة خاصة في المناطق الساحلية عاملان مساعدان في انتشار الوباء، وكما يقول هاريسون "عُمان مركزاً بغياً للملاريا" (هاريسون، 1989: 60)، فالبعوض المنتشر يعد السبب الرئيس لانتشار المرض. لقد كان من ضمن الأسباب التي ساعدت على انتشار الأمراض في عُمان هو؛ الحالة الصحية والاجتماعية التي عاشها

المجتمع في عُمان حيث الفقر وقلة الحيلة وقلة الخدمات، إضافة إلى انتشار الاعتقادات أن من أسباب انتشار الأمراض هو وجود الجن والسحر وأعمال الشياطين (الشرياني، 2003، 52).

ويعد مرض الملاريا من أكثر الأمراض التي تنشر في عُمان، فقد انتشر في عام 1916م بعد سقوط كميات كبيرة من الأمطار (الجامعية، 2024: 77)، وفي رحلة الطبيب هاريسون نحو داخل عُمان، أشار أنهم وفي رحلتهم قدموا علاج الكينين لعدد كبير من مرضى الملاريا (هاريسون، 1989: 23).

ج. أمراض أخرى انتشرت في عُمان

هناك عدد من الأمراض التي انتشرت في عُمان، ويأتي ذلك من خلال الوصفات الطبية التي دونتها المصنفات الفقهية العمانية، سواء كتب الفقه أو التفسير. ويعتبر مرض غبرة العين من أكثر الأمراض المنتشرة، ولا نستبعد أن أستفاد العمانيون مما ورد في كتاب الموجز في الطب لابن النفيس (2008) والذي احتوى على مادة قيمة حول طرق علاج أمراض العيون، والتي تتشابه مع طرق علاج العيون عند العمانيين، فقد أشار العمانيون إلى طرق علاج العين بأن يؤخذ من سكر الأقالام ومن العصف وهو عشبة برية، ومن القزح، ويطحن ويداوى به العين، ومرض علة الطحال يؤخذ خل خمر السكر وغلل الطرف، ويطحن ويصفى ويشربه المريض، وعلة وجع الصدر أن يستعمل حليب الغنم ويوضع به بعض الحجارة الساخنة مع السعتر ويشربه العليل، ومرض ورم الرقبة وعلاجه أن يطلى بلبن شجرة السوقم، ومرض البرص (الجذام) الذي كانت ينتشر في عُمان والمناطق الشمالية منها (العبري، 89: 23)، وعلاجه أن يؤخذ من ورق العشرق اليابس المطحون ويخلط مع العسل ويؤخذ على الريق (الحضرمي، 2017: ج2، 172-173).

كما احتوى كتاب (شفاء القلوب من داء الكروب) للعبري على ستين باباً في الطب ووصفات الأدوية (مجموعة باحثين، 2013)، وقد وصف في كتابه العلاج حتى للمرأة التي لا تحمل، وذلك بأن تأخذ جاورش وجوز وعافر قرحا ويخلط ويطحن وينخل ويخلط بدهن الزئبق، وكذلك للمرأة الكبيرة والتي لم تحبل وصفوا لها العلاج، وكذلك لإسقاط الجنين وإدراار الحيض وقطعه (العبري، 2013: ج1، 100-101).

2. طرق علاج الأمراض

كانت التدابير والطرق العلاجية بسيطة جداً، وتقوم في الأساس على عزل المريض بهدف منع المرض من الانتشار، وفي عُمان وخاصة في الفترة التي بدأت فيها تظهر الخدمات العلاجية بدأ ما يطلق عليه اسم المحاجر الصحية، ويتم فيها عزل المرضى، كما يتم فيها في بعض الأحيان حجز القادمون عبر السفن لمدة يومين للتأكد من خلوصهم من أي مرض، ويعرف الحجر الصحي بأنه «تقييد حركة الأشخاص والبضائع من أجل الوقاية من انتشار الأمراض والآفات» (الحارثي، 2021: 217).

ويعد عزل المرضى من أكثر الوسائل التي لجأ إليها العمانيون في الحد من انتشار المرض، خاصة مع قلة المعرفة والدراية بوسائل العلاج (القطيبي، 2021: مج43، ع6، 236). وقد مارس أهل عُمان التطبيب التقليدي منذ فترة مبكرة، واتبعوا الطرق التقليدية في علاج الأمراض، وتحضير عدد من الأدوية والعقاقير

الطبية (الخنصوري، 2023: 36). ومن خلال مراسلات القنصل الفرنسي بول أوتافي يتضح دور العلاج التقليدي في مكافحة المرض ويعد بمثابة الطب البديل، فكانوا يتناولون عصير الليمون كل صباح، وذلك ساهم في تحسن صحة المريض بشكل واضح وكبير (بلهوارى، 2022: 126-127).

3. حالات الإصابة بالأمراض في عُمان

أشارت مجموعة من المصادر المحلية إلى عدد ممن أصيب بالمرض مثل القاضي سليمان بن ناصر الخليلي المتوفى في بهلا، والسيد سعود بن حمد بن هلال البوسعيدى المتوفى في نزوى، والشيخ سليمان بن محمد بن أحمد الكندي المتوفى في نزوى (الشيباني، 2022: 37)، كذلك فإن التقارير من قبل موظفي القنصلية البريطانية في مسقط أشارت إلى انتشار المرض في مسقط، ولجأ العمانيون إلى الأساليب التقليدية في علاج المرضى والتي في مقدمتها عزل المرضى (القريطي، 2021: 236). وتشير الخنصورية إلى أن المجتمع العُماني قد مارس مهنة الطب واتبع الطرق التقليدية والحديثة في علاج مجموعة من الأوبئة والأمراض بالعلاجات التقليدية وإنما تجاوزت إلى تحضير أدوية نوعية ضد الأمراض (الخنصوري، 2023: 36). وفي السياق ذاته اهتم القنصل الفرنسي بول أوتافي في مراسلاته الدبلوماسية لوزير خارجيته إلى كتابة الوصفة العلاجية، التي تداولها المصابون بهذا الوباء، واتضح أن طريقة العلاج كانت بمثابة الطب البديل في غياب أو شبه انعدام معالم الطب الحديث. فيذكر أنهم كانوا يشربون عصير الليمون على معدة فارغة كل صباح، وكان لذلك آثار جيدة على صحة المريض (بلهوارى، 2022: 126-127).

وأشار زكور إلى عدد من العلاجات التي قد تفيد في مكافحة الوباء بقوله «ويكون ذلك بتدبير المسكن والهواء، وتنقية أخلاط البدن، وإصلاح الغذاء والشراب، واستعمال الباذهرات (الترياق) وتدبير المكان بتنظيفه من القاذورات، وكنسه ورشه بالخل والماورد» (زكور، 2021: 284).

وممن أصيب بمرض الجدري الشيخ راشد بن خميس العبري وهو ذاهب للحج كما يذكر ذلك ولده خميس بن راشد العبري «وكذلك أبي لزمه فرض الحج فلما وصل البقعة المباركة نزل به الجدري فتركوه أصحابه وقصدوا إلى عرفة، ومات أبي يوم الحج» (العبري، 2013: ج1، 297). ومن الملاحظ أن العبري وهو يصف الدواء أشار إلى طبيعة الطعام الذي يتناوله المريض، فإن كان يشرب حليب البقر فعلاجه يختلف عن الآخرين. ورغم القصور في العلاج بسبب عدم المعرفة العميقة للمرض كما هو عليه الآن، إلا أن الوصف يوحى بمعرفة طبيعة المرض

«الرومانين وتمر الصبار لا يحتاج إلى طبخ وفي آخر الأمر ماء ورد أعجمي فإذا صار جامداً مثل العسل الثخين يحدر ويساط بقليل زعفران وقليل قرنفل والشربة منه بقدر ثمرة الفرض المتوسطة ويشربه قبل ظهور الجدري في أوان الحمى وأما إن ظهر بالإنسان الجدري فلا يشرب منه خوف أن يقتله لأنه مضر بعد الظهور، وأما اللواتيا والبانيان يشربون حليب البقر مع ابتداء الحمى لا غيره» (العبري، 2013: ج1، 176).

وممن توفي بالجدري سعيد بن حمد بن عامر الراشدي من أهل سناو من شرقية عُمان توفي في مطرح وهو في طريقه إلى الحج، ودفن في موضع يقال له العريانه وعمره نيف وعشرون سنة. كما توفي حمد بن سيف بن سعيد البوسعيدى وهو في طريق الحج، حيث توجه في السفينة التي حملته إلى ساحل الهند

ثم إلى شرق أفريقيا وعمره نيفاً وأربعين سنة (السالي، 2009: 287)، وكان عالماً فاضلاً، كما توفي الإمام محمد بن عبد الله الخليلي (1920-1954م) متأثراً بمرض الجدري (الأغبري، 2009: 93).

كما وأن في الحرب التي وقعت بين خلف بن مبارك الهنائي ومحمد بن ناصر الغافري، أصيب الأخير بمرض الجدري واشتد عليه حتى أشرف على الموت، لكنه عوفي منه (السيابي، 2001: ج4، 47)، إضافةً إلى أن السيد سلطان بن أحمد عندما أراد أن يستعيد الحصون التي استولى عليها محمد بن خلفان الوكيل، أشيع بين الناس أنه مصاب بالجدري، ولذلك هابه الناس، كما أن محمد بن خلفان الوكيل أخذ من جانب المرض في الأحداث المتلاحقة التي أدت أن يعيد حصن مطرح والجلالي والميراني إلى قبضة السيد سلطان بن أحمد، ومما يلاحظ من الحادثة أن أمر إصابة أحد الأشخاص بمرض الجدري في حد ذاته مدعاة للقلق حيث تقل فرص النجاة من المرض (السيابي، 2001: ج4، 231).

وقبل ذلك كان السيد حمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد البوسعيدي وهو الذي اتخذ مسقط عاصمة لعُمان بينما والده الإمام سعيد في الرستاق، فقد جمع حمد جيشاً كبيراً لم يعرف الهدف منه، حيث أصيب بحمى فرجع إلى مسقط بعد أن خرج منها، وظهر بجسده مرض الجدري، فحضر والده ومات سنة 1206هـ / 1792م وحضر جنازته عدد كبير من الناس (ابن رزيق، 1998: 44).

كان مرض الجدري ينتشر بين سكان عُمان بين الفينة والأخرى، حيث أشارات الرحالة الأجانب وحديثهم عن حال وجوه السكان الذين يصيبهم المرض ليؤكد كذلك، ومن خلال ما ذكره روبين بيدويل بقوله « وفي الصيف ينتقل معظم الأهالي إلى الداخل في الأرياف، غير أن مرض الجدري يشوه وجوههم. وأتصور أن نسبة الأصحاء من السكان لا تزيد على الثلث فقط » (بيدويل، 1985: 37)، كما أصيب والد نور الدين السالي وهو حميد بن سلوم السالي بمرض الجدري بعد أدائه مناسك الحج عام 1898م، ورثاه ابنه بأبيات شعرية (شريف، 2011: 125).

كما أصيب سليمان الباروني بمرض الملاريا، التي أثرت في بدنه تأثيراً شديداً، فكان المرض لا يلبث أن يغادره حتى يعود إليه، متحملاً القيام بأعماله، ولعل إصابته بمرض الملاريا، وعدم توفر المستوصفات الصحية في عُمان، ساهمت في أن يحضر صديقه الطبيب السوري بشير الجمال، الذي كان يعمل في جيش طرابلس (مجموعة باحثين، 2013: مج 8، ص 2766)، وتشاء الأقدار أن يصاب هذه الطبيب بالمرض عندما وطئت قدماه عُمان، فكان من أوائل المصابين بالمرض حيث انتقل إلى جوار ربه متأثراً بالمرض (أبي اليقظان، 1956: 50 - 51).

إن مجئ الباروني إلى عُمان كان يتوقع أن يساهم في الكثير من الإصلاحات على المستوى التعليمي والصحي والاجتماعي، ولكن اعتلال صحته أدت إلى عدم قدرته على تنفيذ تلك المخططات، فكان كما ورد عند أبي اليقظان (أبي اليقظان، 76) « كان إما على الفراش وإما على الحصان، وهنا يتجلى مبلغ صبره وقوة احتماله، وقد استمرت به الأسقام نحو ستة عشرة سنة » وقد حاول الحصول على العلاج في البداية بسفره إلى بغداد ومكث بها حوالي السنة، وقد أشار الباروني إلى قسوة مناخ عُمان بقوله «هواء وحر عُمان ما أشدهما وأقساهما على الغريب» (أبي اليقظان، 1956: 78)، وهذه الإشارة لا تخلو من رمز ضمني يشير

إلى قسوة المناخ في البلد، والتي تجعل الغريب لا يتحمل هذه التطرف، أما أبناء عُمان فقد اعتادوا على قسوة المناخ وتأقلموا معه، وإشارة مهمة حول ما حدث للطبيب السوري الذي ما كاد ينزل عُمان حتى داهمه المرض وتوفي بسببه، وأما الباروني ورغم من بسطة جسمه وما هو عليه من الصحة فقد قاوم المرض ما يقرب من ستة عشر عاماً، ولعل ذلك يظهر حجم وشدة هذا المرض.

وقد سافر الباروني للعلاج إلى الهند عام 1940م على نفقة السلطان سعيد، ولكن ما كادت قدماء تطلّ الهند حتى سقط مغشياً عليه، فقد هدّ بدنه مرض الملاريا، فمنذ دخوله عُمان أخذته الملاريا، فمرة يغلبها ومرة تغلبه (أبي اليقظان، 1956: 51)، وهذا المرض لم يكتف بالباروني بل انتقل إلى ابنه إبراهيم، الذي هرب عن المرض إلى العراق للعمل في القصر الملكي.

الخاتمة:

لقد أظهر البحث أن عدداً من الأمراض والأوبئة التي كانت تفد على شكل موجات متعاقبة قد انتشرت في عُمان، وأشهرها وأخطرها: الطاعون، الجدري، والكوليرا، وعلى الرغم أن المصادر المحلية من كتب الفقه والتفسير أو تدوينات الرحالة وتقارير قناصل الدول الأجنبية والمستكشفين الأجانب، هي أبرز المصادر التي كتبت عن الأوبئة والأمراض التي انتشرت في عُمان؛ وهي مصادر شحيحة وتدويناتها قليلة، كما أن المدونات التاريخية قليلة وتناولت الأمراض بطريقة غير مباشرة، إلا أن البحث عالج الموضوع بمنهجية استقرائية وصولاً لصورة أقرب ما تكون حول الوضع في عُمان خلال تلك المرحلة التي كانت الأوبئة تعصف بالناس.

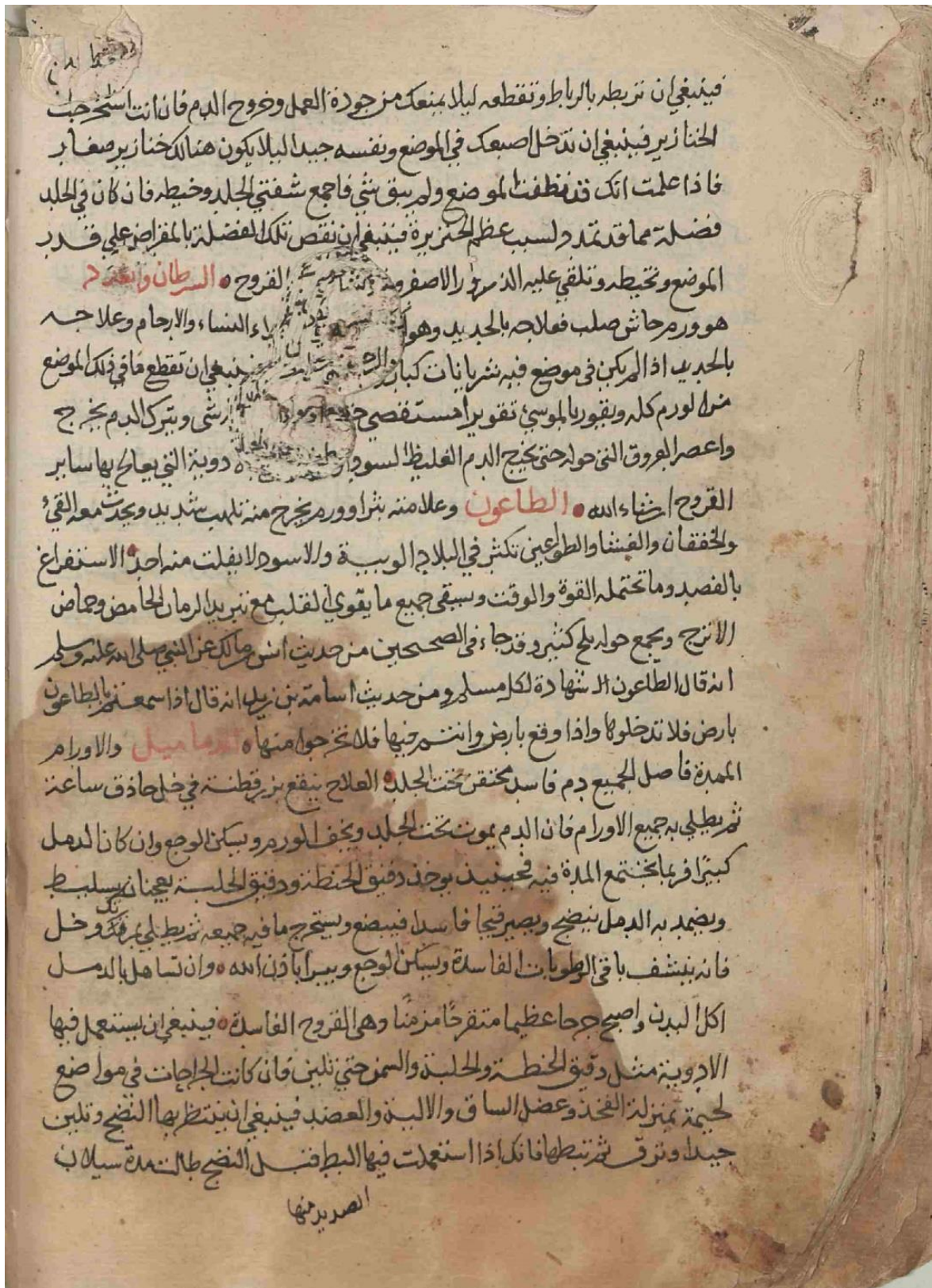
كما عرض البحث أن العوامل التي أدت إلى انتشار الأوبئة والأمراض في عُمان تعود إلى العوامل الطبيعية والبشرية؛ ومنها الموقع الجغرافي على مسطحات مائية مفتوحة، وهذا ساهم في زيادة خبرة العُمانيين بالبحر والتجارة؛ مما ساهم في نوع من الاختلاط مع الشعوب الأخرى في الهند وأفريقيا والخليج وهو ما أدى أن تنتقل مجموعة من الأوبئة عبر مراكب التجار.

كما أظهر البحث أن المصادر المحلية أشارت إلى إصابة مجموعة من أفراد المجتمع العُماني بالأوبئة والأمراض التي اجتاحت عُمان على فترات مختلفة؛ ومن خلال تلك الإشارات اتضح أن الأوبئة كانت تنتشر على شكل موجات متزامنة مع انتشارها على مستوى العالم.

وأوضح البحث تعرض مجموعة من الأفراد الذين زاروا عُمان وبالأخص الذين زاروها خلال انتشار الأوبئة إلى إصابتهم ببعض تلك الأمراض مثل الملاريا، والتي أدت إلى معاناتهم سنوات طويلة، كما أن البحث لم يقتصر على المناطق الساحلية وإنما تناول أيضاً المناطق الداخلية من عُمان، مثل: نزوى، بهلا، إزكي، ونخل، هادفاً للمقارنة بين المناطق.

وأظهر البحث أن المصادر المحلية وتقارير القناصل على الرغم من المآخذ عليها قد أكدت على انتشار التطبيب في عُمان لمكافحة الأمراض وقد برزت مجموعة من الأسر العُمانية التي اشتهرت بالطب ولم تقتصر في علاجها للأمراض على الطرق التقليدية وإنما تجاوز ذلك إلى تحضير أدوية نوعي

ملحق:



شكل 01: مختصر من فاكهة ابن السبيل (دار المخطوطات، وزارة التراث والسياحة: 1782)

البيبلوغرافيا

المصادر

1. ابن النفيس، علاء (2008). الموجز في الطب. دار الكتب العلمية.
2. ابن رزيق، حميد (1998). الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين. وزارة التراث القومي والثقافة.
3. ابن سعد، محمد (1997). الطبقات الكبرى. دار الكتب العلمية.
4. ابن كثير، إسماعيل (2015). البداية والنهاية. دار إحياء التراث العربي.
5. ابن منظور، محمد (1997). لسان العرب. دار صادر.
6. ابن هاشم، راشد (ب.ت). زاد الفقير. مخطوط. وزارة التراث القومي والثقافة.
7. ابن هاشم، راشد (1984). فاكهة ابن السبيل. وزارة التراث والثقافة.
8. أبي اليقظان، الحاج (1956). سليمان الباروني باشا. دار أمل للنشر.
9. ابن الجوزي، ابن القيم (1985). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. مطبعة الأمانة.
10. الرازي، أبي بكر محمد (2002). الحاوي في الطب. دار الكتب العلمية.
11. السالحي، عبدالله (2009). جوابات الإمام السالحي. مكتبة الإمام السالحي.
12. السالحي، عبدالله (1997). تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان. مكتبة الاستقامة.
13. السديكي، أبو سته (1994). حاشية الترتيب على الجامع الصحيح. دمشق: مطابع دار البعث.
14. السعدي، جميل (1984). قاموس الشريعة. وزارة التراث القومي والثقافة.
15. الشقصي، خميس (1984). منهج الطالبين وبلاغ الراغبين. وزارة التراث القومي والثقافة.
16. العوتبي، سلمه (2006). الأنساب، ط4، تحقيق محمد إحسان، مطبعة الألوان الحديثة.
17. الكندي، محمد (1985). بيان الشرع. وزارة التراث القومي والثقافة.
18. لوريمر، ج (1995). السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية. دار غارنت للنشر.
19. لوريمر، ج (2015). سلطنة عُمان في دليل الخليج. بيسان للنشر والتوزيع.
20. هاريسون، بيدويل (1989). رحلة طبيب في الجزيرة العربية. (ط2). وزارة التراث القومي والثقافة.
21. اليعقوبي. أحمد (1969). تاريخ اليعقوبي. دار صادر.

المراجع:

1. الأغبري، إسماعيل (2009). دراسة وصفية حول تحفة الأعيان. وزارة التراث القومي والثقافة.
2. البطاشي، حمود (2016). اتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، ج1، ط4، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان.
3. بيدويل، روبين (1985). عُمان في صفحات التاريخ. وزارة التراث القومي والثقافة.
4. الجامعية، آمال (2024). الحجر الصحي في عُمان (1888 – 1970). عصور للنشر والتوزيع.
5. الحارثي، محمد (2021). تفشي الأوبئة والحجر الصحي للحجاج في القرن التاسع الميلادي: دراسة تاريخية حضارية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 39 (2)، 213 - 244.
6. الحضرمي، عبدالله (2017). الكوكب الدري والجوهر البري. وزارة التراث القومي والثقافة.
7. حناني، فردوس (2023). الطاعون في صدر الإسلام والعهد الأموي. مجلة الشهاب، 9 (3)، 485 – 498.
8. الحوسني، زاهر (2003). سيرة الشيخ محمد الرقيشي. وزارة التراث القومي والثقافة.
9. الخنصوري، أمل (2023). الأوضاع الصحية في عُمان (1888 – 1975). الجمعية العمانية للكتاب والأدباء.

10. ددع، سحر (2021). الأوبئة في الحجاز خلال العصر العثماني 923 - 1334هـ / 1527 - 1926م، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 39 (2)، 177 - 198
11. زكور، محمد (2021). الأوبئة في التراث الطبي والإسلامي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 39 (1)، 279 - 302
12. الزبيدي، خولة، وحسيني، عبد القادر (2021). الأوبئة في القرن التاسع الهجري: كتاب بذل الماعون في فضل الطاعون أنموذجاً، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 39 (1)، 204 - 230
13. علي، عبدالله، والمغني، عبدالله (2022). الجوائح والأوبئة اليت شهدتها منطقة الخليج العربي في التاريخ الحديث (الطاعون أنموذجاً)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 19 (4)، 299 - 328
14. السيابي، سالم (2001). عُمان عبر التاريخ. (ط.4). وزارة التراث القومي والثقافة.
15. الشرياني، سعيد (2003). النشاط التنصيري في الخليج العربي. جمعية التراث.
16. شريف، مصطفى (2011). الشيخ نور الدين السالمي مجدد أمة ومحبي إمامة. جمعية التراث.
17. الخصيبي، محمد (1994). شقائق النعمان، ج1، ط3، وزارة التراث القومي والثقافة.
18. الشيباني، سلطان (2022). الطواعين في الذاكرة العمانية، محبوب للنشر الرقمي.
19. طاحون، عدلي (1996). علاقة بعض عوامل البيئة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والفيزيائية بدرجة انتشار بعض الأمراض المعدية (دراسة حالة في قرية مصرية). مجلة العلوم الاجتماعية، 24 (2)، 187 - 215
20. الطاهر، ليلى (2023). إجراءات مكافحة مرض الجدري بالدولة العثمانية "1293 1337هـ": إستانبول أنموذجاً. مجلة الآداب، 35 (3)، 93 - 122.
21. العبري، خميس (2013). شفاء القلوب من داء الكروب. مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية.
22. عطاء الله، فؤاد (2020). فهرس المؤلفات في الوباء والطاعون: دراسة بيبليوغرافية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، 9 (4)، 549 - 566.
23. غباش، حسين (1997). عُمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث 1500 - 1970. دار الجديد.
24. بلهاري، فاطمة (2022). مراسلات دبلوماسية فرنسية عن الأوبئة بعُمان ما بين 1899-1900، مجلة دلمون، جمعية تاريخ وأثار البحرين، 31، 117-134.
25. فيلبس، وندل (1983). تاريخ عُمان. (ط 2)، وزارة التراث القومي والثقافة.
26. القطيطي، منال (2021). انتقال الأمراض المعدية من ساحل مكران إلى مسقط ونواحيها خلال عام 1898 و 1899م: دراسة تاريخية وثائقية. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية - سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، 43 (6)، 225 - 244.
27. الريامي، محمود (2015). إشكالية المصطلح الطبي في كتاب (منهاج المتعلمين) للطبيب راشد بن عميرة، مركز ذاكرة عُمان.

باللغة الأجنبية

1. Burney, Nadeem and Al-Ramadhan, Muhammad and Al-hajji, Reem (2017). Social - economic determinants of Morbidity in Kuwait. Journal of the Social Sciences Social sciences, 45 (2): 31- 59

الصحافة

1. الحجري، هلال (2011). الإرسالية الأمريكية في عُمان: قصتها وخطابها الديني. صحيفة التفاهم.

/https://tafahom.mara.gov.om

2. الشيدي، عاصم (2020، أبريل 6). تاريخ مؤلم للأوبئة والأمراض في عُمان خلال القرنين الماضيين. جريدة عُمان. [/https://www.omandaily.om](https://www.omandaily.om)
3. النبهاني، وليد (2014، أغسطس 14). تاريخ الوباء بعُمان في دورية صحية أمريكية، صحيفة البلد. <https://albaladoman.com>
4. البوسعيدي، نصر (2017، أغسطس 3). الكوليرا مأساة لن ينساها التاريخ العماني. صحيفة أثير. [/https://www.atheer.om](https://www.atheer.om)

الموسوعات

1. بولرواح، إبراهيم (2006). موسوعة آثار الإمام جابر بن زيد. مكتبة مسقط.
2. مجموعة باحثين (2013). الموسوعة العمانية. (ط.1). وزارة التراث والثقافة.